القرآن الكريم

تعريف القرآن الكريم

ما هو القرآن الكريم؟

القرآن هو اسم لكلام الله تعالى الم ّل على عبده ورسوله محمد المتعبد بتلاوته، المعجز بكل سورة منه، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء من سائر الكتب.

ومن أسمائه الفرقان والكتاب والذكر والت يل وقد غلب عليه اسما القرآن والكتاب، وفي ذلك إشارة إلى شدة العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني في الصدور والسطور جميعًا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى.

القرآن الكريم كلام الله تعالى

القرآن من كلام الله، وقد تكلم به حقيقة لا مجازًا، من باب إضافة الكلام إلى قائله، وهو الذي أنزله على رسوله ﷺ ليكون للعالمين نذيرًا، فإضافته إلى محمد ﷺ إضافة تبليغ وأداء، لا إنشاء وابتداء والمشكك في هذه الحقيقة ليس أمامه إلا أن يضيف هذا القرآن إلى النبي نفسه، أو إلى مخلوق علّمه إياه.

أما **الاحتمال الأول:** وهو كون القرآن من عند محمد ﷺ وذلك لفرط ذكائه، ونفاذ بصيرته، وشفافية روحه، مما يجعله ينشئ -بزعمهم- مثل هذا الكلام البديع الرصين، فمردود بأدلة كثيرة، منها:

١- أن الرجل مهما بلغ ذكاؤه وصفت سريرته أنى له أن يأتي بذكر لأحوال الأمم الغابرة، ومسائل العقائد والشرائع، وما في الجنة والنار من النعيم والعذاب، ثم يذكر لنا ما سيقع في قابل الأيام والدهور، كل ذلك على نحو من التفصيل والتدقيق، مع تمام السبك، وقوة الأسلوب، ومن غير تضاد ولا اختلاف، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يكن يتلو كتابا، ولم يخالط أهل التاريخ.

٢- التحدي الصارم الذي واجه به القرآن الكفار، وأنهم لم ولن يأتوا بمثل شيء من سوره، يبعد عن الرسول -مع ما عرف عنه من الحصافة والحكمة- أن يغامر في الدخول فيه مع أئمة البيان وفحول الفصاحة، وهو يرجو لرسالته أن تنتصر ولدعوته أن تنتشر.

٣- هذا القرآن تضمن بعضا لمواضع العتاب لمحمد ﷺ في مواقف اجتهد فيها لكنه جانب فيها الصواب، أو الأصوب، فـ ل القرآن مبينا وجه الحق ومخطئا للنبي ﷺ فيكف يجمل بحكيم عاقل يخطئ نفسه وينشر ذلك في الناس، ولو كان يملك أدنى تصرف في هذا القرآن لأخفى مثل هذه المواضيع، وسترها عن الناس وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ

أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [1].

٤- تصدير كثير من الآيات في القرآن بكلمة "قل" بل قد تكررت هذه الكلمة أكثر من ثلاثمائة مرة، وفي توجيه الخطاب لمحمد وتعليمه ما ينبغي أن يقول، فهو لا ينطق عن هواه، بل يتبع ما يوحى إليه، فهو مخاطب لا متكلم، حاكٍ ما يسمعه لا معبر عن شيء يجول في نفسه.

٥- الاتفاق التام بين إشارات القرآن الكريم إلى بعض العلوم الكونية وبين معطيات العلم الحديث، الأمر الذي أثار دهشة كثير من الباحثين الغربيين المعاصرين، حيث تعرض القرآن الكريم لقضايا علمية دقيقة - نحو ما يتعلق بعلم الأجنة والفلك والبحار - لم تكتشف وسائل معرفتها إلا بعد عصر نزول القرآن بعدة قرون.

أما **الاحتمال الثاني:** وهو أن يكون النبي ﷺ قد تعلّم القرآن من غيره فهذا باطل من وجوه:

١- أمية محمد: وذلك أن النبي ﷺ نشأ أميا، بين أناس أميين، لا يعرفون غير علم البيان والفصاحة وما يتصل بما، وكانوا منعزلين بشركهم عن أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [2] ففيه إشارة واضحة إلى أن هذا النوع من العلم ما كان عند العرب، وليس لهم به دراية، ولم يرد أنم اعترضوا على هذا الحكم عليهم بأنم يجهلون الأمور المشار إليها في الآية.

٢- عدم تعرض العرب لمعارضته: فلم يدعِ واحد من خصومه من العرب -مع شدة تكذيبهم- نسبة القرآن إلى نفسه، ثم إن الله تعالى قد تحدى به بلغاءهم وفصحاءهم على أن يأتوا بسورة من مثله، فلم يتعرض واحد منهم لذلك، اعترافا بالحق، ونأيا بالنفس عن

---

(١) سورة الحاقة الآيات : ٤٤-٤٧ .

(٢) سورة هود آية : ٤٩ .

تعريضها للافتضاح، وهم أهل القدرة في فنون الكلام نظما ونثرا، وترغيبا وزجرا.

٣- عربية القرآن وأعجمية لسان أهل الكتاب: لم يذكر في أيّ من المصادر التاريخية جلوس النبي ﷺ بين يدي أحبار اليهود، أو رهبان النصارى، بغية التعلم والمدارسة. ثم إن هذا القرآن عربي فصيح لا عهد لأهل الكتاب به، ولهذا قال تعالى ردا على من ادعى أن القرآن من وحي أهل الكتاب: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١)

٤- موقف القرآن من أهل الكتاب: موقف القرآن من أهل الكتاب بدحض شبهاتم وأغاليطهم، ثم دعوتم إلى الإيمان بالرسول الكريم، والاستجابة للذكر الحكيم يُبعد أن يكونوا هم مصدر القرآن ومنبعه، وهذه حالهم من الإعراض عنه والكفر به، وبمن أنزل عليه.

(١) سورة النحل آية : ١٠٣ .

معنى الوحي

الوحي هو إعلام الله تعالى من اصطفاه برسالته كل ما أراد إطلاعه عليه من أمره وعلمه وهو آتيه ليبلغه إلى من شاء الله تعالى من خلقه.

فالوحي أمر مشترك بين جميع رسل الله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[1] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[2].

(١) سورة النساء آية : ١٦٣ . /٨ سورة ، آية /٨

(٢) سورة النساء آية : ١٦٤ .

إمكانية وقوع الوحي

الوحي أمر واقع لا يمكن إنكاره عند كل من آمن بوجود الله تعالى وكمال قدرته، فالخالق المدبر يرعى خلقه بما شاء من أنواع التدبير والرعاية، والصلة بين الخالق وخلقه إنما تكون عبر رسله، ورسل الله لا يعرفون مراد الله إلا عن طريق الوحي سواء كان بواسطة أو بغير واسطة. فالعقل السليم لا يستبعد إمكانية الوحي، لأن الخالق القادر لا يصعب عليه شيء.

حقيقة الوحي الرباني

الوحي ليس معاناة ذاتية يعالجها النبي في نفسه، بمعنى أنه ليس ضربا من ضروب الكشف والإلهام الذي يكتسبه الإنسان بممارسة بعض الرياضات الروحية العنيفة بل الوحي حوار علوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية، وذات مخاطبة مأمورة متلقية. ولم يخلط النبي محمد صلى الله عليه وسلم -والأنبياء عليهم الصلاة والسلام- بين ذواتم الإنسانية المأمورة المتلقية وبين ذات الوحي الآمرة المتعالية، فالإنسان واع أنه إنسان ضعيف بين يدي الله، يخاف عذاب ربه إن عصاه، ويرجو رحمته، ويستمد منه العون، ويصدع بما يأمره به، وأحيانا يتلقى العتاب الشديد، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(1)].

كل هذا وغيره يحمل على الإقناع بالفرق الذي لا يتناهى بين ذات الخالق وذات المخلوق، وبين صفة الخالق وصفة المخلوق، وبين أسلوب الخالق وأسلوب المخلوق.

---

(١) سورة يونس الآيتان : ١٥-١٦ .

تفريق النبي بين كلامه وكلام الله

ولهذا كان النبي ﷺ يحرص على التفريق بين أحاديثه التي يصوغها بأسلوبه الخاص وهو ما يعرف بالحديث النبوي - رغم أن أصلها من الوحي عن طريق الإلهام - وبين الوحي القرآني، بل منع بادئ الأمر أن يُكتب منها شيء مع القرآن، حتى تبقى للقرآن ه لته الخاصة في كونه لفظًا ومعنى من عند الله تعالى، ولا يختلط به شيء من كلام الناس.

وكان- صلى الله عليه وسلم- يفرّق بين ما يقوله عن اجتهاد من نفسه وبين ما ينسبه إلى الله تعالى، ولهذا قال: ﴿ إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم: قال الله، فلن أكذب على الله ﴾ [(١)].

(١) مسلم الفضائل (٢٣٦١) ، ابن ماجه الأحكام (٢٤٧٠) ، أحمد (١٦٢/١) .

الرسول لا يملك من أمر الوحي شيئا

فالوحي قوة خارجة عن ذات النبي لا يملك التصرف فيها بما شاء، ومما يؤكد ذلك أنه كانت تـ ل بالنبي أو بأحد ممن حوله أحيانا نوازل تتطلب حلا سريعا، لكنه لا يجد فيها قرآنا يقرؤه على الناس، فيلتزم الصمت، وينتظر، وربما طال الانتظار، وهو في حاجة ملحة للجواب والفرج، لحكمة يعلمها الله تعالى. مثال ذلك: حادثة الإفك، وهي الفرية على عائشة زوج النبي ﷺ من قبل بعض المنافقين بما هي بريئة منه، وأخذ الناس يلوكون عرض النبي النقي، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يملك أن ينهي هذه المشكلة، بل غاية ما قاله: ﴿ يا عائشة، أما إنه بلغني كذا وكذا "، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ﴾[1]. ومضى شهر بأكمله، حتى نزل الوحي ببراءة عائشة، وطهارة بيت النبوة وخلاصة الأمر: أن الوحي حالة غير اختيارية، وعارض غير عادي وقوة خارجية، وهو قوة عالمة، لأنا توحي علمًا، وهو قوة خيرة معصومة، لأنه لا يأتي إلا بالحق، ولا يأمر إلا بالرشد.

---

(١) البخاري المغازي (٣٩١٠) ، مسلم التوبة (٢٧٧٠) ، أحمد (١٩٨/٦) .

كيفية وحي الله تعالى إلى ملائكته

جاء في القرآن الكريم ما ينص على تكليم الله ملائكته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [(١)] وكما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ ﴾ [(٢)] فوحي الله إلى ملائكته تكلم من الله، وسماع من الملائكة.

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٢) سورة الأنفال آية : ١٢ .

طرق إعلام الله تعالى رسله

وحي الله تعالى إلى رسله يكون بواسطة وبغير واسطة:

الوحي بواسطة: وهو الملك جبريل عليه السلام، ويكون ذلك بإحدى حالتين:

الحالة الأولى: أن يأتيه الملك بصوت مثل صلصلة الجرس وهي أشد على الرسول ﷺ فالصوت القوي يثير عوامل الانتباه، فتتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره، فإذا نزل الوحي بذه الكيفية على الرسول ﷺ نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه.

الحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلا ويأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أخف من سابقتها، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع، ويأنس رسول النبوة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان.

وكلتا الحالتين مذكورة في سؤال الحارث بن هشام رضي الله عنه قال للنبي ﷺ ﴿ يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي، فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول. ﴾ (1)

الوحي بغير واسطة: من ذلك:

١- الرؤيا الصالحة في المنام: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ أول ما بدئ به الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ﴾ (2) أي في قوة ودقة تحققها وتصديقها.

وكان ذلك تيئة لرسول الله ﷺ حتى ي ل عليه الوحي يقظة لكن ليس في القرآن

(1) البخاري بدء الوحي (٢) ، مسلم الفضائل (٢٣٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٤) ، النسائي الافتتاح (٩٣٤) ، أحمد (٢٥٧/٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٧٤) .

(2) البخاري بدء الوحي (٤) ، مسلم الإيمان (١٦٠) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٢) ، أحمد (٢٣٣/٦) .

شيء من هذا النوع لأنه نزل جميعه يقظة.

وهما يدل على أن الرؤيا الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب اتباعه ما جاء في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام من رؤيا ذبحه لابنه، وقد حكى الله قصته في قوله: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١) ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيا يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده لولا أن منّ الله عليه بالفداء.

والرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسل فهي باقية للمؤمنين وإن لم تكن وحيًا، كما جاء في الحديث « لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا » (٢)

٢- الكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة بدون واسطة: وهذا ثابت لنبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ (٣) وقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٤) كما ثبت التكليم لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج حين عرج به إلى السماء وكلمه ربه، وأنواع الوحي المتقدمة ذكرها الله تعالى في مثل قوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الصافات الآيات : ١٠١-١١١ .

(٢) البخاري التعبير (٦٥٨٩) ، أبو داود الأدب (٥٠١٧) ، أحمد (٣٢٥/٢) ، مالك الجامع (١٧٨٢) .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٤) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٥) سورة الشورى آية : ٥١ .

حفظ القرآن الكريم وسلامته من التحريف

أنزل الله تعالى كتابه القرآن ليكون الكتاب المهيمن، والرسالة الخاتمة، والشريعة الباقية، مما يتطلب رعايته عن عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وقد اتفق له ذلك منذ اللحظة الأولى ا وله وحتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا زيادة فيه ولا نقصا، وقد ورد إلينا متواترا بنقل الكافة [الجمع الكبير من الناس الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب] التي لا تقع تحت عد ولا حصر عن مثلها حفظا وكتابة، ولم يختلف في عصر من العصور في سورة، ولا آية، ولا في كلمة، بل كثير من هؤلاء النقلة لا يحسن العربية لكنه يقرأ القرآن كما أنزل.

وقد ضمن الله تعالى لكتابه السلامة من التحريف، كما في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [2] وهذا يقتضي حفظ عينه وهيئته التي نزل عليها. وقد أقر بذا كل من بحث في أمر القرآن من المسلمين وغيرهم.

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١١٥ .

وجوه حفظ القرآن الكريم

وللحفظ وجوه عدة ووسائل متنوعة:

أولًا: حفظ القرآن في عهد النبوة

وتم ذلك بوسائل متنوعة منها:

١- الطريقة التي كان ي ل بها الوحي:

وهي أن ي ل على هيئة تكون أدعى إلى حفظه وضبطه، فقد سئل الرسول عن كيفية نزول الوحي إليه فقال: ﴿ أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني، فأعي ما يقول ﴾ (١).

٢- مدارسة الملك النبي القرآن:

وكان ذلك في رمضان من كل سنة، يأتيه جبريل في كل ليلة من ليالي رمضان يعرض على رسول الله ﷺ القرآن، وقد عرض عليه القرآن مرتين في العام الذي قبض فيه. كل هذا حرصا على حفظه ومراعاة لصحة لفظه.

٣- كتابة الوحي ومقابلته:

فقد اتخذ الرسول إلى جانب ذلك كُتّابا يكتبون له الوحي أولا بأول، ويراجع ذلك هو بنفسه، حتى يطمئن إلى صحة ما كتب.

٤- قصر الكتابة على القرآن:

وذلك في بادئ الأمر، حيث نى رسول الله ﷺ عن كتابة غير القرآن كالحديث والتفسير لئلا يختلط القرآن بغيره، فكان يمنع أصحابه أن يكتبوا عنه شيئا غير القرآن، فلما اطمأن إلى رسوخ القرآن وسلامته من الاختلاط بغيره، أذن لهم في الكتابة.

٥- الحض على تعلم القرآن وتعليمه:

(١) البخاري بدء الوحي (٢) ، مسلم الفضائل (٢٣٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٦٣٤) ، النسائي الافتتاح (٩٣٤) ، أحمد (٢٥٧/٦) ، مالك النداء للصلاة (٤٧٤) .

فقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على تعلم القرآن وتعليمه، وحفظه وتحفيظه، ويقدم أكثرهم أخذا للقرآن في إمامة الصلوات، وقيادة الجيوش. بل الحاجة داعية لحفظه فهو الكتاب المفروضة قراءته في الصلوات، وتنفيذ أحكامه وآدابه في ضروب الحياة.

٦- قوة الحافظة التي عند العرب:

كان العرب يتمتعون بحافظة لا يكاد يعزب عنها شيء، خاصة وأن القرآن جاء في براعة من الأسلوب، ورفعة من البيان مما يجعله أحرى لحفظه، والاهتمام به، حتى كثر آخذوه: صدرا وسطرا، فحفظه الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والحضري والبدوي.

ثانيًا: حفظ القرآن في عهد الصحابة رضي الله عنهم

تعاهد الصحابة بعد موت النبي ﷺ كتاب ربهم وديوان شريعتهم بالحفظ والعناية، وتجلى ذلك عبر حادثتين عظيمتين:

الأولى: في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين كثر موت حفظة القرآن بسبب الحروب، فخشي هو ونفر من كبار الصحابة ذهاب القرآن بموت حفظته، فأمر بجمع القرآن وذلك بجمع كل ما كتب عليه من الأخشاب والجلود ونحوها من وسائل الحفظ آنذاك، وكذلك ما كان محفوظا في صدور الرجال، وتم جمع القرآن جميعه مكتوبا في مكان واحد يشرف عليه الخليفة وخلفاؤه من بعده.

الثانية: في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث كان القرآن - إلى ذلك الحين - يقرأ على لغات العرب توسعة من الله لهم، فلما أدى هذا الاختلاف في اللغات إلى التنازع والاختلاف بين المسلمين جمع الخليفة المسلمين على لغة واحدة هي لغة قريش أم قبائل العرب، ونسخ من ذلك عدة مصاحف عمّمها على الأقاليم والأمصار.

المصاحف المكتوبة في عهد عثمان ﷺ

أكد بعض المستشرقين رؤية بعض العلماء القدامى للمصاحف العثمانية أو لسور منها في أمصار إسلامية معينة، وفي طليعة هؤلاء كواترمير كما أشار إلى ذلك كل من برجشترا وبرتزل في دراستهما لتاريخ النص القرآني وأن الرحالة المشهور ابن بطوطة رأى بنفسه تلك المصاحف التي يظن أنا عثمانية، أو بعض صحائف منها فقط في غرناطة ومراكش والبصرة وبعض المدن الأخرى خلال رحلاته الكثيرة ومن المعروف أن ابن كثير الدمشقي - من علماء القرن الثامن الهجري - قد رأى مصحف الشام. وشاركه في هذا ابن الجزري وابن فضل الله العمري. ويميل بعض الباحثين إلى أن المصحف أمسى زمنا ما في حوزة القياصرة الروس في دار الكتب في لينيجراد، ثم نقل إلى إنجلترا، بينما يرى آخرون أنه بقي في مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ألف وثلاثمائة وعشرة.

والذي يعلم علم اليقين، ويعلمه كل باحث منصف أن كتابا غير القرآن لم يحظ بالعناية التي أحيط با ولم يصل غيره بالتواتر كما وصل، فجاء - كما قال شفالي: " أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان ". ولا غرو فهو كتاب الله الذي قال فيه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]. وقد ظل القرآن محفوظا في الصدور حتى الساعة، وإلى قيام الساعة.

(١) سورة فصلت آية : ٤٢ .

شهادات بعض الغربيين

كلام لوبلوا: "إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر".

كلام موير: "إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد أكبر حجة ودليل على صحة الم ل الموجود معنا".

كلام الأستاذ موريس بوكاي: ذكر بوكاي أنه يوجد في المكتبات الأوربية مثل المكتبة الوطنية بباريس، قطع مخطوطة من القرآن يرجع تاريخها - حسب تقدير الخبراء - إلى القرنين: الثاني والثالث من الهجرة.

الحفظ خاص بالقرآن

إن الله تعالى تولى حفظ كتابه القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1]؛ لأنه الرسالة الخاتمة والشريعة الباقية فناسب أن يحفظ حتى قيام الساعة، أما الكتب السابقة فهي شرائع موقوتة، وكّل الله حفظها للناس فضيعوها بالتحريف والتبديل والكتمان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾[2].

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٤ .

نزول القرآن منجما

أنزل الله تعالى القرآن على محمد ﷺ لهداية البشرية، فكان نزوله حدثا جللا يؤذن بمكانته عند أهل السماء وأهل الأرض، فإنزاله الأول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وذلك في ليلة القدر من شهر رمضان أشعر العالم العلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بذه الرسالة الجديدة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وت يله الثاني مفرقا على خلاف المعهود في الكتب السماوية قبله أثار دهشة كفار العرب مما حملهم على المماراة، حتى أسفر لهم صبح الحقيقة فيما وراء ذلك من أسرار الحكمة الإلهية، فلم يكن الرسول ليتلقى الرسالة العظمى جملة واحدة، ويقنع با القوم مع ما هم عليه من صلف وعناد، فكان الوحي يت ل عليه تباعا تثبيتا لقلبه، وتسلية له، وتدرجا مع الأحداث والوقائع حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾(1)

فالقرآن نزل منجما أي مفرقا في ثلاث وعشرين سنة هي عمر الرسالة المحمدية، وكانت الحكمة من نزوله منجما تتلخص في الآتي:

١- تثبيت فؤاد النبي ﷺ

واجه النبي ﷺ من قومه أول الأمر عنادا ونفورا وجفوة وأذى وهو راغب في دعوتم وهدايتهم، فاحتاج أن ي ل عليه القرآن مرة بعد مرة، بحسب الوقائع والأحداث، تثبيتا لقلبه، وتسلية له، ولهذا حشد القرآن بقصص الأنبياء السابقين وما لاقوه من أعدائهم من صنوف العناد والاستكبار والأذى ثم كانت العاقبة لهم بالنصر والتأييد والتمكين، وهو مصير كل من تمسك بدين الله تعالى.

٢- التحدي والإعجاز:

(1) سورة الفرقان الآيتان : ٣٢-٣٣ .

فإن تحدي الكفار بالقرآن وهو مفرق مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ي ل جملة ويقال لهم: جيئوا بمثله.

٣- تيسير حفظه وفهمه:

نزل القرآن على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، سجلها ذاكرة حافظة، فما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه وتتدبر آياته، فكان نزوله هكذا مفرقا خير عون لها على حفظه في صدورها وفهم آياته، والالتزام بتعاليمه.

٤- مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع:

فما كان الناس ليقبلوا على هذا الدين الجديد لولا أن القرآن عالجهم بحكمة، وأعطاهم من دوائه الناجع جرعات يستطبون با من الفساد والرذيلة، فكلما حدثت حادثة بينهم نزل الحكم فيها يجلي لهم صبحها، ويرشدهم إلى الهدى، ويضع لهم أصول التشريع حسب المقتضيات، فكان هذا طبا لقلوبم.

٥- الدلالة القاطعة على أن القرآن ت يل من حكيم حميد:

وذلك أن القرآن نزل منجما في أكثر من عشرين عاما، ت ل الآية والآيات على فترات من الزمن فيقرؤه الإنسان ويتلو سوره فيجده محكم النسج، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، ولو كان هذا القرآن من كلام البشر وقيل في مناسبات متعددة، ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام. قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء آية : ٨٢ .

تفسير القرآن الكريم

المتتبع في تفسير النص القرآني المنهج التالي:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن

إذ إن أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم: الاستدلال ببعض كلامه على بعض - حسب قواعد لغته التي يتكلم با - وهذا يقتضي معرفة اللغة التي نزل با القرآن، ومعرفة أساليبها، واستعمالاتا، فالقرآن عربي، والرسول الذي أنزل إليه عربي، والقوم الذين خاطبهم أول مرة عرب، فجرى الخطاب بالقرآن على معتادهم في لسانم لفظا ومعنى.

وقد يحتاج المفسر أن يجمع الآيات في الموضوع الواحد، ثم ينظر فيها مجتمعة ليعرف ما قد يكون بينها من علاقات، من تخصيص عام، وتقييد مطلق، وتفصيل مجمل.

ثانيًا: تفسير القرآن بكلام النبي ﷺ

إن لم يتيسر فهم النص القرآني من القرآن نفسه طلبه المفسر من سنة النبي ﷺ فإنا البيان للقرآن، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] فالسنة تأتي مفسرة لبعض ما أجمل في القرآن، نحو أصول الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج، فبينت السنة أركان هذه العبادات وواجباتا ومستحباتا ومحظوراتا ومكروهاتا، وهيئاتا، وأوقاتا، ومقاديرها، وأنصبتها على نحو من التفصيل لم يأت في القرآن. وكذلك تأتي السنة بالمخصص لعموم القرآن، والمقيد لمطلقه، والمبين لمشكله، ويستدل على ذلك بقوله ﷺ ﴿ ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه ﴾ [2].

ثالثًا: تفسير القرآن بكلام الصحابة

فإن تعذر فهم النص القرآني من القرآن ومن السنة طلبه المفسر من أقوال أصحاب

---

(١) سورة النحل آية : ٤٤ .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٦٤) ، أبو داود السنة (٤٦٠٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٢) ، أحمد (١٣١/٤) ، الدارمي المقدمة (٥٨٦) .

النبي ﷺ فإنم أعلم بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال، واختصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم.

رابعًا: تفسير القرآن بكلام التابعين

تفسير القرآن بكلام التابعين ومن بعدهم من أهل العلم مع إضافة ما يناسب ذلك في المعتمدون، فإن تعذر فهم النص القرآني من كلام الصحابة لجأ المفسر إلى كلام من بعدهم من التابعين، فهم أقرب عهدا ب ول القرآن، وأعرف من غيرهم بلغته وأساليبه، وأكثر حفظا للسنن والآثار، وهم أيضا من أهل القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية.

نسخ شريعة القرآن لغيرها من الشرائع السابقة

النسخ في الشرائع الإلهية واقع قطعا، بل هو واقع في الشريعة الواحدة، ويكون عادة في الفروع لا في الأصول. قال تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١) وقد جاءت شريعة عيسى ناسخة لبعض ما في شريعة موسى عليهما السلام قال تعالى على لسان عيسى مخاطبا بني إسرائيل: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ (٢) أما شريعة الإسلام فهي ناسخة لما قبلها من الشرائع، والمقصود: ما يدخله النسخ من الشرائع، أما ما يجب لله من التوحيد والتنزيه عن الشرك وأصول العبادات مما هو أصل دعوة جميع الرسل فلا يدخله النسخ، فالذي يدخله هو فروع الشرائع وجزئياتها وتفاصيلها.

لذا كانت شريعة الإسلام باقية خالدة صالحة لكل زمان ومكان جامعة لمحاسن الشرائع السابقة. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٦ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٥٠ .
(٣) سورة المائدة آية : ٤٨ .

كمال دين الله تعالى بـ ول القرآن

صحيح أن القرآن لم يـ ل إلا منذ أربعة عشر قرنا بيد أن معانيه قديمة جديدة ففيها خلاصة كاملة للرسالات الأولى، وللنصائح التي بذلت للإنسانية من فجر وجودها، فالقرآن ملتقى رائع للحكم البالغة التي قرعت آذان الأمم في شتى العصور، واستعراض مجمل الشرائع الإلهية التي احتاجت إليها الأرض جيلا بعد جيل.

إنه لذلك مجمع الحقائق الثابتة، ومجلى عناية الله بعباده مذ خلقوا، وإلى اليوم، وإلى أن تنقضي الدنيا. وإظهارا لهذا المعنى يقول الله تعالى في سورة الأعلى بعد أن ذكر بعض آياته في الخلق ثم أمر رسوله محمد ﷺ بالتذكير ثم بين فلاح من تزكى وخسارة من لم يتذكر، وأن طبيعة الناس إيثار الحياة الدنيا مع أن الآخرة خير وأبقى، وعقب ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ [1] فالدين قد اكتمل بـ ول القرآن، وليس بالناس حاجة لغيره، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [2].

---

(١) سورة الأعلى الآيتان : ١٨-١٩ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣ .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس